المحاضرة (06)

أهم النظريات العلمية في تفسير الظاهرة الإجرامية

1/ النظرية البيولوجية

تعددت النظريات التي قيلت لتفسير الجريمة على أساس الخلل العضوي للمجرم وأهمها نظرية لوميروزو، وارتست هوتون ، وسوف ونتناولها على النحو التالي:

أولا: نظرية لومبروزو

" يقول بهذه النظرية العالم " لومبروزو " وقد كان طبيب في الجيش الإيطالي ثم أصبح أستاذا للطب الشرعي والعقلي.

وقد أتاح له عمله كطبيب وضابط وأستاذ جامعي أن يقوم بفحص عدد من الجنود والضباط الأشرار والأخبار معا خلص بعدها إلى وجود صفات تتوافر لدى أفراد الفئة الأولى دون الثانية كما قام بتشريح جثث كثير من المجرمين وخلص إلى وجود قاسم مشترك من الخصائص يجمع بينهم.

وتتلخص أسس هذه النظرية إلى أن المجرم إنسان شاذ من الناحيتين العضوية والنفسية معا

أ: الخصاص العضوية للشخص المحرم:

أكد لومبروزو في دراسته أن الإنسان المجرم نمط من البشر يتميز خاصة وقال بان توفر خمس صفات أو أكثر من هذه بملامح عضوية السمات الجسدية لدى شخص يجعله خاضعا للنمط الاجرامي التام، وإذا توفر لديه ثلاث صفات يكون من النمط الإجرامي الناقص ، وإذا قلت هذه الصفات عن ثلاث فليس من الضروري اعتباره مجرما. وهذه الصفات لا تكون سببا في الجريمة بقدر ما تعني ارتداد صاحبها إلي النمط المتوحش، وأهم هذه الخصائص هي:

صغر حجم الجمجمة وعدم انتظامها، غزارة في شعر الرأس والجسم، جبهة صغيرة ومنحدرة، كبر زائد في إبعاد الفلك و بروز عظام الوجنتين، تشوهات في العينين، فرطحة الأنف أو اعوجاجها، شذوذ في تركيب الأسنان، امتلاء الشفتين وضخامتهما وبروزهما ، طول الذقن أو قصرها أو تفلطحها ،

زيادة أو نقص ملحوظ في حجم الأذنين أو بروزهما في الرأس، طول زائد للذراعين ، الميل لاستخدام اليد ليسرى ، طول أو قصر غير اعتيادي ، وشم على الجسد.

إن السبب الأساسي في السلوك الإجرامي إنما يرجع إلى الوصف الخلقي ومن ثم يصعب على الظروف البيئية مهما كانت ان تغير بالاندفاع الذي لا خلاص منه من هذا القدر.

ومن الصفات النفسية التي تميز الإنسان المجرم عند لومبروزو : عدم الشعور بالألم وذلك لملاحظة كثرة الوشم على أجسام المجرمين ، الاندفاع في التصرفن الغرور ، غلظة القلب مما يجعلهم يقدمون على جرائم الدم ،سهولة الإثارةنحده المزاج ،عدم المبالاة وعدم الإحساس بتأنيب الضمير .

و قسم لومبروزو المجرمين إلى الفئات التالية:

1- المجرم بالميلاد:هذا النوع من المجرمين يعد طبقا لرأي لومبروزو الأشد خطرا على المجتمع

٢- المجرم الصرعى: هو شخص أصيب بالصرع عن طريق الوراثة دفعه ذلك إلى ارتكاب الجريمة

٣ -المجرم المجنون :هو من يرتكب الجريمة تحت تأثير الجنون وادخل لومبروزو تحت هذه الفئة من يرتكبون الجريمة وهم تحت تأثير الخمر أو المخدر وكذلك من يرتكبها في حالة هستيرية

4-المجرم بالصدفة :هو شخص ليس لدية صفات المجرم ولكنة يرتكب الجريمة تحت تأثير موقف وردة فعلة السريعة وعجزة عن تقدير العواقب فيتورط في جريمته.

5- المجرم بالعاطفة:هو شخص مرهف الأحاسيس سريع الخضوع للانفعالات مثل الحب والغيرة فيجره انفعاله إلى ارتكاب الجريمة

- **تقدير نظرية لومبروزو:** لقد وجهة للنظرية عدة انتقادات أهمها:

1- أنه لم يقدم تفسيرا علميا للعلاقة بين الخصائص الجسمية والسلوك الإجرامي.

2 -تلاحظ أنه قد أسرف في تمييز المجرمين بصفات جسدية ونفسية معينة نتيجة اقتصار صاحبها على دراسة وتشريح جثث المجرمين دون سوأهم.

3 -ليس كل المجرمين ذوى ملامح وحشية

4 - القول بان المجرم يتميز بصغر حجم الجمجمة قول غير سديد.

5- تلاحظ أن هذه النظرية قد تجاهلت تمام دور العوامل الاجتماعية في إنتاج ظاهرة الجريمة رغم أنها من ضمن العوامل ارتكاب الجريمة

6- من حيث الأفكار التي قال بها: فإن الأفكار التي خلص إليها لومبروزو مشكوك في صحتها إلى حد بعيد: فتشبيه المجرم بالإنسان البدائي هو تشبيه في غير موضعه إذ لم يثبت علمية قيام لومبروزو بدراسة تاريخ الجنس البشري حتى يستطيع تكوين فكرة صحيحة عن الإنسان البدائي الذي تملكته السرعة في تقريب المجرم الحديث إليه، وفضلا عن هذا فإن منطق هذا القول إنما يقود إلى نتيجة لم يقطع التاريخ بصحتها ألا وهي أن جميعا أعضاء المجتمع البشري البدائي مجرمون.

7 -أن فكر المجرم بالميلاد غير صائبة على الإطلاق لأن الشخص لا يكون مجرماً إلا بارتكابه سلوك يؤثمة الشارع الوضعي لا بواقعة ميلاده مشوه الجسم أو مختل النفس ومن شأن التسليم بهذا المنطق الإهدار الكامل المبدأ شرعية الجرائم والعقوبات الذي يعد من أهم ضمانات الحرية الفردية في العصر الحديث ثم إن اعتبار المجرم مسيرة وغير مسئول جنائية يقود بدوره إلى تفويض صرح القانون والارتداد بمجتمع القرن العشرين إلى عصور ما قبل التاريخ.

وان كانت هذه الانتقادات اللاحقة والتي طالت نظرية لومبروزو فانها لا تحجب حقيقة ان هذا العالم المؤسس الأول لعلم البيولوجية الجنائية كعلم مستقل تجاه العلوم الاجتماعية وفضل دراساته في تنبيه الباحثين إلى ضرورة دراسة شخص المجرم عضويا ونفسيا لمعرفة عوامل إجرامه.

<u>*نظرية ارنست هوتون:</u>

ترتكز نظرية العالم الأمريكي ارنست هوتون على دراسة عدد كبير من نزلاء السجون و استكملها بدراسة مجموعة من غير المجرمين ، و قد تبين له من خلالها أن المجرمين يتميزون بصفات موروثة معنية لا تظهر

عند الأسوياء و هذه الصفات تبدو واضحة في مقاييس الأعضاء و بشكل العينين و الأذنين و الأنف و الجبهة، كما استنتج هوتون من خلال دراسته أن الصفات التي لا حظها تختلف باختلاف الجرائم المرتكبة ، الذين يرتكبون جرائم جنسية.

ولهذا نلاحظ إن هوتون قد تلافي النقد الذي وجه إلى أراء لومبروزو الذي حصر دراسته على فئة المجرمين دون غيرهم ، في حين استعان هوتون بمجموعة من الإفراد العاديين ، الأمر الذي جعل نظريته تتسم بالشمولية لكونها انصبت على المجرمين وغير المجرمين.

تقدير نظرية هوتون:

قد تعرضت نظرية هوتون للنقد من أوجه عديدة نذكر منها ، ان عينة المجرمين محل الدراسة غير كافية لاستنتاج الحقيقة في كافة جوانبها ، لكونها تناولت الذين ثبت إجرامهم أمام القضاء، مع إن الواقع يدل على إن كثيرا من المجرمين يبقون خارج السجون ، بسبب عدم اكتشاف أمرهم أو تبرئتهم لعدم كفاية الأدلة ، أو الحكم عليهم بالغرامة أو بأي عقوبة سالبة للحرية مع وقف تنفيذها.

أما بخصوص الاستنتاج الذي وصل إليه و المتمثل في وجود صفات و خصائص معينة عند المجرم و تختلف باختلاف نوع الجريمة المرتكبة ، فهو استنتاج غير منطقي في حالات كثيرة ، مما يجعل نظرية غير قاطعة في صحتها ، و من ثم من غير الممكن الاعتماد عليها بصورة مطلقة . و بالإضافة إلى هذه الانتقادات ، هناك نقد أخر يتمثل في إهماله و استبعاده العوامل الاجتماعية في مجال تفسير الظاهرة الإجرامية الأمر الذي جعل نظريته تتسم بالقصور.